من قتل أباه ؟

للكاتب الانجليزي سير آرثر كونان دويل

بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعه

حدث الدكتور وطسون قال :

كنت جالساً في مسكن شرلوك هولز رقم ٤٠ شارع بيكر ستريت في يوم عبوس ممطر ، شديد البرد ؛ ولكن مظاهر الترف والرفاهية التي كانت تحفني أنستني العواصف المهولة التي كانت تهز الأشجار وتحطم زجاج النوافذ وتغرق السفائن في البحر

فدخلت مسز تيرنر مدبرة الدار وهي تحمل صينية من الأبنوس المطعم بالعاج وعليها طعام الافطار وقالت لي في سخط وغضب :

— أما آن لهذا المسكين أن يتناول وجبة الصباح ؟ لقد طرقت بابه فلم يجب فلما فتحت الباب كعادتي وجدته مستلقياً على ظهره ووجهه شاحب كأنه صريع الأفيون ، وقد امتلأ جو الغرفة بدخان تلك البيبة الأبدية التي يتنفس خلالها النيكوتين ..

فقلت لها : وهل مستر هولز نائم ؟

قالت : أبداً ! إن عينيه شاخصتان ، كأنه ينظر إلى شيء في الفضاء يراه وحده

فقلت لها : هذه عادته فلا تبتئسي

فقالت : ولكنك طبيب ، وإني أخشى أن يكون بالرجل مسٌّ من الجن ، أو أنه يعاني مرضاً دفيناً يقضي عليه فجأة ، فانه لم ينم منذ ليلتين ، ولم يخلع ثيابه وما بدّل من مظهره سوى حذائه الذي استبدله بمداذه

فنهضت وصحبتها إلى غرفة شرلوك هولز فرأيته على الحالة التي وصفتها العجوز ؛ وزاد عليها أنه لم يرد تحيتي ، فلما دنوت منه وقلت له : هذا هو طعام الافطار يا مستر هولز ، إنك بعد كل هذا رجل ، أي كائن حي تحتاج الطعام والشراب ولست ملكا ولا جنياً .

فسمعته يهمس : روتشديل ... كليمنس .. تسعة أقدام وسبعة .. بعد ثلاثة أيام ... دائرة ضيقة

فضحكت ضحكة عالية ؛ لأنني أدركت أنه منشغل بحل تلك الجريمة الخارقة للعادة

فكان لقهقهتي أثر غير منتظر ، فقد أفاق هولز من ذهوله وقال :

— ها أنت ذا يا وطسن . متى جئت ؟ وأين تلك العجوز الشمطاء تيرنر التي لم تفكر في إعداد إفطاري حتى هذه الساعة المتأخرة من النهار . فضحكت وقلت له : اخفض صوتك فان هذه التي تدعوها « شمطاء » وتتهمها بالتقصير قد حملت إليك الشاي والحلوى منذ ساعة وهي بالباب تناديك فلا تجيب

ودعوت مسز تيرنر فلبت واستأذنت . ووضعت خوان الافطار على المنضدة التي تكدست عليها الكتب والخرائط والقواميس والرسوم بحالة مزعجة . وأخذت مقعدي حيال هولز لمؤانسته أثناء شرب الشاي

ولم يكد المسكين يمد يده إلى أحد الأقداح حتى عادت مسز تيرنر مهرولة وقالت :

— إن سيداً شاباً بالباب يريد لقاءك وقد بلله المطر ونال منه التعب نيلاً شديداً

فقال هولز دعيه يدخل وأعدي له الشاي

وفي تلك اللحظة دخل علينا شاب في منتصف العقد الثالث ، أصفر الوجه ، عصبي المزاج نحيلاً في عينيه جمال وهدوء ، وفي سمته وقار وثبات ، وفي يده كتاب تبينت بعد لحظة أنه الانجيل المقدس . فاتجه الفتى نحوي وقال لي : هل أنت مستر هولز ؟

فقال هولمز : نعم . إنه هو بعينه ، ولكنه قليل الكلام فقل وأوجز

فاتجه الشاب المسكين نحوى وقال لهولمز : لقد وددت لو ألقاه وحده . فيا حبذا ياسيدى لو تركتنا قليلاً حتى أفضى إليه بسر حضورى . فضحك هولمز وقال : لا ! لا ! لا يمكننى أن أتركه ، لأننى كاتم أسراره ويده اليمنى . فخشيت أن أظهر الشاب على الحقيقة ، فيسوؤه مزاح هولمز فى ضيقه

وكان هولمز يلجأ أحياناً لهذه الطريقة عندما يكون متعباً أوعندما يرى أمامه شخصاً خائر القوة، فيجب أن يتجه المحدث إلىّ ليدرسه على غرة منه

فلم أفعل أكثر من أن هززت رأسى وأشرت إشارة الرضى والموافقة

فقال لى الشاب : إذن أتكلم ؟ إن مستشارك هذا لا يبعث بالثقة التى توحيها

فضحكت ولزمت صمتى ، ولكن وجه هولمز لم يبد عليه أقل انفعال أو دهشة

وكانت مسز تيرنر قد أحضرت له الشاى فأخذ جرعة واحدة ثم ألقى بالفنجان جانباً وقال :

إننى انجليزى كاثوليكى من مقاطعة « سوث سكس » وعندما كنت طفلا ، كان من عادتى أن أتوجه إلى الاعتراف بين يدى قسيس القصر، نعم قصر أسرتي، فانتمى أنتمى إلى الأشراف النورمانديين الذين دخلوا هذه البلاد بقيادة غليوم الفاتح .

فقال هولمز وقد اتخذ شخصيتى مؤقتاً :

— إن مستر هولمز لا يهمه كثيراً ذكر الآباء والأجداد وتسلسل الذرارى بقدر ما يهمه أن تدخل فوراً إلى صميم الموضوع

فاحمر وجه الشاب الذى كان شاحباً . ونهض على قدميه ونظر إلىّ وقال :

— إن كاتم أسرارك يهينني . إنني متخرج فى جامعة اكسفورد وجئت لأمر جدى وأحمل بين أحشائى ناراً موقدة . فالأفضل أن تعيده إلى صوابه وترشده إلى احترام الذين يستحقون الاحترام

فقال هولمز : هون عليك ياسيدي النبيل . إن مقاطعتى أياك نوع من مصلحتك . فان وقت مستر هولمز من ذهب ووقتى أنا أيضاً ، وقد تضيع على نفسك بهذه المفاخرة دقيقة قد تفر أثناءها فرصة العمل . فجلس الشاب هادئاً واسترسل قائلا : عندما كنت طفلا كان من عادتى أن أتوجه إلى الاعتراف . لشد ما وددت أن يرجع ذلك العهد ، عهد الصبى والطفولة فأعود طفلا يتوجه عند المغرب إلى محراب الصلاة الخاص بقصرنا فى تلك القاعة التى هيئت معبداً وجمعت كل ما فى الكنيسة من أسباب الهدوء والبساطة تقوم عليها جدران ناصعة البياض ويرتفع فوقها سقف أزرق اللون تناثرت فيه تصاوير فلكية تمثل الكواكب وقد احتوت عدداً من المقاعد تحمل أسماءنا وأرقام جلوسنا . وكان القسيس الكاثوليكى المحترم هولت يمت إلينا بصلة القرابة ، ولكنه تعلم وتكرس وتناول الأسرار العلوية فى كنيسة نوتردام دي باري . وكنت عند ما يحين دورى للركوع فى ذلك الممترف الضيق إلى جانب كرسى الاعتراف الذى يضم بدن القسيس الضئيل من فرط التعبد تتسارع دقات قلبي ويستولى علىّ شعور غامض ، وهذه الاحساسات المختلفة وخجلى من الخطايا التى سأعترف بها ، كانت سبب اضطراب أعصابى عندما تأتى اللحظة الرهيبة وأرى القسيس الذى كان يأكل معنا على خوان واحد ويؤهلنا للايمان يصوب إلىّ نظراته رغم أن وجهه الصغير الشاحب يشع منه نور التقوى .

فتململ هولمز فى مقعده ولكنه لم يتبس ببنت شفة . واستمر الشاب يقول :

يالها من لحظة يعقبها ألم عنيف ، يتلوه شعور بالراحة والحرية المطلقة وإحساس بخفة العبء الذى كنت أحمله . ثم توهب لى صفحة بيضاء علىّ أن أملأها بالاعمال الصالحة .

لقد حيل الآن بينى وبين عقيدتى الدينية التى كانت تشعرنى فى السنين الأولى بأن هناك سلطة عليا فيما وراء الطبيعة، وهى التى تسير كل شيء؛ وبعد ذلك أشعر بالحرية التى جددت شباب نفسى ، لأنى اعترفت بأخطائى وذنوبى وطرحت جانباً تلك الأوزار التى تثقل كاهلنا جميعاً .

فأصغى هولمز إلى هذه النبذة الأخيرة إصغاء تاماً ، وتنهد تنهداً عميقاً وقال :

مرحى مرحى ! الآن دخلنا فى الموضوع ، ولكن السيد النبيل لم يذكر لنا اسمه

فقال الشاب : « أنا اسحق إيزموند أوف كنجهام بليس هو رسام سوت سكس »

فقال هولمز : هَمْ !

قال الشاب : عند ما بلغت العاشرة فى شهر يونيو سنة ١٩٠٧ كنت بعد ظهر أحد الأيام الدافئة جالساً فى حجرة مذاكرتى ، كما هى عادتى بعد حضور الدروس فى مدرسة القصر وتناول الشاي فى الساعة الخامسة . وكم من مرة زلت قدمى على الدرجات الثلاث المفروشة بإتقان وهى الموصلة إلى غرفتى الصغيرة المؤثثة على نسق أنيق وكل ما فيها أزرق اللون ؛ وبين جدران هذه الحجرة أمضيت آخر الأيام السعيدة فى حياتى . إنى لأستعيد الآن كل شيء . كنت جالساً إلى مكتبي مرتدياً معطفاً أسود ومشغولا بحل مسألة حسابية على ورقة مسطرة

وعلى حين غرة سمعت صيحات عالية أعقبتها أصوات ممتزجة فاندفعت إلى الباب لأستطلع الخبر؛ فلما رآنى الخادم وهو ممتقع اللون صاح مذهولا :

آه يا سيدى اسحق ! يالله من سوء حظ مروع وحادث فاجع

وعند ما ثاب إلي رشده قال :

— عد إلى حجرتك فوراً ولا تبق هنا

فلما رأى ترددى أخذ بيدى عنوة وأدخلنى فى حجرتى رغم احتجاجى والحاحى عليه لأعرف سبب ذلك الاضطراب الشامل الذى احتوى الدار فجأة ، إلا أننى استطعت أن أفهم أخيراً أن والدى كان قد غادر القصر منذ يومين ولم يعد ، فأقلقت هذه الغيبة الطويلة بال والدتى فبعثت بخطاب إلى صديق الأسرة سير ويتنجهام خطاباً ليحضر . فجاء إلينا بعد العشاء فأفضتي والدتى . ولكنى كنت قد لاحظت بريقاً غير عادى يشع من عينى سير ويتنجهام الزرقاوين اللتين تعودنا منهما مظهر الجمود من وجهه الحاد التقاطيم

فقاطعه هولمز سائلا : صف لى صورة جناب السير فى تلك الحقبة من الزمن التى مضى عليها على الأقل خمس وعشرون سنة

فقال اسحق أزموند :

كان رجلا مديد القامة حليق اللحية كستنائى الشعر وقد احتفظ بشعيرات باهتة اللون تركها تنمو فى مقدمة ذقنه

فقال هولمز : هَمْ ! واسترسل الشاب :

وحينما حاولت التوسل للبقاء مع والدتي وسير ويتنجهام لمحت حركة آلية بعصا خفيفة يداعب بها ظهره . ولطالما أعجبت بتلك العصا وبتمثال المقاتلين الذى يزين رأسها . وكانت حركته لا تدل على الاضطراب؛ ولكن كيف لا يضطرب سير ويتنجهام لاختفاء أعز صديق لديه ؟ بل على العكس ، من ذلك كان صوته غاية فى الهدوء فأسبغ على عباراته لوناً من الموسيقى العذبة حينما وعد بأن يقوم بكل البحوث المحكمة الممكنة ليهتدى إلى مقر والدى وعلة اختفائه . لطالما تذكرت والدتى تمر بمخيلتى بشعرها

الناعم وعينيها الدعجاوين وشفتيها المرتجفتين ، لقد كانت تحاكي في بياضها لون ردائها في ذلك المساء. وكان سير ويلنجهام كعادته متأنقاً في ملبسه؛ وإني لأتذكر جيداً وجهه الرشيق

مضيت في سبيلي مقتنعاً بما قاله ذلك الرجل فقد كانت له عندي منزلة كبيرة من أعزاز الطفولة . ولم يكن يعاملني قط إلا بالعطف ، ولكنني أخيراً عرفت الحقيقة القاسية فقد ظللت أطرق الباب بعد أن احتجزني الخادم في غرفتي بعنف وشدة منادياً بأعلى صوتي دون أن أظفر بجواب إلى أن جاءت مربيتي جوليا فصحت قائلا :

— أبي ؟ أين أبي !

فقالت المربية : مسكين أيها الطفل مسكين !

ثم احتضنتني . كانت متوفدة لتنبئني بالحقيقة المروعة . ولكن قواها خانتها . ففررت من بين ذراعيها ، وعدوت في طرق القصر وممراته حتى بلغت حجرة رقاد أبي ، ودخلت إليها قبل أن يتمكن أي إنسان من اعتراضي . آه . قد علا السرير جسم متصلب ، وطرحت فوقه ملاءة بيضاء ووضعت تحت رأسه الساكن وسادة من الصوف ، وزال عنه لون الدم والحياة . وبقيت عيناه مفتوحتين ثابتتين . لأن جفونه لم تجد من يغمضها في الوقت المناسب

وكانت ذقنه معصوبة بضماد ، وقد لفت حول رأسه قطعة من القماش الأبيض . وبجوار السرير جثت امرأة لا تزال بثوبها الأبيض الصيفي ، وهي حزينة تنتحب ... هذان أبي وأمي !

ألقيت بنفسي عليها وقد تولاني حزن جنوني فتلقتني باشفاق وصاحت قائلة :

— إسحق ! إسحق ! يا ولدي

في تلك الصيحة تجلى حزن عميق ، وفي تلك الضمة شعرت بقلبها الملىء بالألم يدفىء فؤادي . وبعد برهة قامت وحملتني إلى خارج الغرفة حتى لا أرى ذلك المنظر البشع مرة أخرى . واستمرت تقول : « ليعاقبني الله . ليعاقبني ربي ! » . دون أن تدرك أثر كلماتها في نفسي ثم غمرتني بالقبلات ، وبللتني بدموعها في وجهي وعنق ورأسي

عندما طلبت إلى والدتي أن تقول لي كل ما تعلم عن ذلك الحادث الفظيع ، أخبرتني بأن أبي قضى على أثر نوبة قلبية في إحدى مركبات السفر . فظل مجهولاً مدة يومين، لأنه لم يكن مايدل على شخصيته

فسأله هولمز ... وهل صدقت ما قيل لك ؟

قال إسحق أزموند ... رغم حداثتي استغرقت طويلا في التفكير فيما قيل لي ، فلو أن أبي مات بتلك الحالة التي بلغتني ، فلماذا سألني الخادم عند ما خرج بي للنزهة عما قيل لي بشأنها ؟ فلما أجبته لزم الصمت ، وعهدي به ثرثارا كبيرا . وما الداعي لهذا الصمت المبهم الذي أشعر به حولي في كل مكان. في الهواء ونحيما على كل الشفاه، ومختفياً وراء كل نظرة

وحدث بعد مرور ثلاثة أشهر أن جاء إلى القصر طفلان في صحبة أمهما ، وهي صديقة حميمة لوالدتي . فاقترب مني أحدهما بعد لعبة الجولف واستجمع شجاعته ثم سألني :

— هل ألقي القبض على قاتل والدك ؟

وقبل أن أفيق من صدمة السؤال قال لي :

— وهل سيعدم موته على المشنقة بعد محاكمته في أول بيلي ؟

فاندفع الدم إلى وجهي وقلت : لا أعرف !

حدث ذلك منذ خمس عشرة سنة ، ولكني أشعر الآن بضربات قلبي عندما سمعت هذه الكلمات

فقال هولمز وهو يمثل شخصي :

— ولكن أيها السيد النبيل ، لعل مستر هولمز (مشيراً إلى) يسألك ما الفائدة من تشريفه بزيارتك وقد مضى على مصرع المرحوم والدك كل تلك المدة الطويلة؟ فاحمر وجه الشاب وقال :

— إن قاتل أبي لم يعرف. وسأشرح لكما سبب هذه الزيارة التي قد تكون حبلى بالفوائد لي ولمستر هولمز. فقد اطلعت أمي على ما سمعته ، ولكني لم أفز منها بطائل . فقصدت إلى خادمنا العجوز مس جوليا . فلم تجد بداً من أن تطلعني على الحقيقة. فقالت لي إن والدي مات قتيلا، وإن الذي قتله رجل يدعى روتشديل اتصل به قبل مصرعه بعضعة أسابيع وزعم أنه وكيل إحدى الشركات التجارية في الهند . وقد جاء إلى انجلترا لمفاوضة والدي في بعض أعمال تهمه . ثم دعاه إلى فندق والدورف وهو الذي كان الرجل روتشيلد نزيلا به، وهناك وقعت الجناية واختفى روتشلد اختفاء غريباً ولم يعثر له على أثر .

فلما سمع مستر هولمز اسم روتشديل قفز من مقعده ولمعت عيناه ، وأخذ يسير في الغرفة ذهابا وجيئة كمن مسته الشياطين .

وتذكرت فجأة الاسم الذي كان يهتف به قبل مقدم اسحق ازموند الذي انزعج لرؤية هولمز في هياجه والتفت إلى وهمس في أذني : إن كاتم أسرارك رجل غريب الأطوار ويجب أن تستبدل غيره به .

فأجابه هولمز من آخر الغرفة :

— هدىء روعك أيها السيد النبيل فان مستر هولمز سيعزلني بمجرد الانتهاء من كشف القناع عن مقتل المرحوم والدك فارتبك اسحق عند ما علم أن هولمز سمع همسه . واستمر هولمز قائلا :

— ولكن قبل أن نبت في هذه المسألة أجبني على سؤالي؟ هل تزوجت والدتك من سيروتينجهام صديق الأسرة الذي وصفته لنا ؟

قال اسحق وهو بين الذعر والدهشة :

— نعم ، من ذا الذي أخبرك ؟

قال هولمز : وكان هـذا الزواج في تمام العامين من مصرع أبيك ؟

فقفز اسحق من مقعده وقال :

— نعم ياسيدي . إنك منجم حاذق

وقبل أن يفيق اسحق من دهشته قال له هولمز

— لقد عجز المحققون، لأن القاتل لم يسلب والدك نقوداً ولم يكن لأبيك أعداء في الهند ولا في سواها .

فقال اسحق نعم نعم ياسيدي السكرتير أظن اسمك دكتور وطسن

فقال هولمز — إن الأسماء لا تهم بقدر ما يهمنا الوقوف على الحقيقة .

فقال اسحق — نعم ياسيدي وكان هذا الزواج الحادث الثاني في حياتي .

فقال هولمز — بقي عليك أن تقص علينا مسلك زوج أمك بعد أن عقد عليها .

فقال إسحق : اسمح لي أن أشرب قليلا من الشاي ، فاني لم أتذوق شيئاً منذ ثلاثة أيام

فابتسم هولمز وأمره بغداء كامل وقال له : وقد حضرت من بورنموث حيث تقيم بمفردك إلى هنا في مركبة (دوجكارت) يجرها جواد واحد

فضحك إسحق وقال : نعم وقد تركته باصطبل فولكنر وجئت سائراً على قدمي حتى بللني المطر . يا ليتني عرفتكما منذ خمس سنين بعد بلوغ رشدي..

فقال هولمز : إن الوقت لحسن الحظ لم يفت

قال إسحق : أحسست بكراهة غريبة مبهمة لا أستطيع تفسيرها نحو سيروتينجهام زوج والدتي؛ وكنت أتجنب لقاءه بسبب الجفاء الذي كان يقع بيننا عند ما تتلاقى أبصارنا... بيد أنه كان بجميع تصرفه يستدر عطفي ويستدرج ولائي . وكان جميع أمره ينم عن رقة ودماثة أخلاق تخفي وراءها دهاء عميقاً وحذراً يقظاً . إذ أنه لما بلغت مبلغ الرجال أبى أن ينقص شيئاً من إرادي الخاص ، مما أنفق في تعليمي في إيتون وأكسفورد . وانفق ووالدتي على تقديم ثروتي وافر دخلها إلى منذ وفاة أبي كاملة لم تمس . فوجدت بين يدي في سن الشباب أموالا طائلة

ولكن هذه الأموال لم تغرني بشيء مما يغرى الشباب ، إذ كانت رغبة الثأر والانتقام لوالدى تتأجج فى صدرى كالنار المشتعلة . وكان كل همي موجها إلى معرفة القاتل . وهل هو على قيد الحياة؟ وما سبب جنايته على والدى المسكين ... ؟ ولكن كل ما انتهى إليه استقصائى كان أن والدى قد قتل غدراً بيد ذلك الرجل الذى يدعى روتشديل ، وإنه لا بد أن يكون انجليزياً أو أمريكياً كما شهد مدير الفندق وسائر خدمه . فاتصلت برجال سكوتلانديارد وبمستر مارشال هول ، وهو المحامى الذى تولى الدفاع عن حقوق ، وبلورد بروكلاند قاضى التحقيق الأول فأطلعنى على ملف الدعوى ولم يكن فيه أكثر مما عرفت . وأرشدني إليك قائلا :

— إن مستر هولمز محقق جنائى هاو ولكنه أحذق من فحص قضية . فلما فاتحت مستر بارمور رئيس شرطة سكوتلانديارد أحبط عزمى زاعماً أن مستر هولمز فيلسوف نادر المثال ، له شطحات تقصيه عن المرمى وإن كان يصيب الأهداف أحياناً . ولكنها ليست القاعدة . وقال: « خصوصاً وإن حدة الجريمة أخذت تخف وتبرد فى الصحف والمنتديات ، وإن مستر هولمز لا يصلح للضرب على الحديد البارد » . ففترت همتى عن الحضور إليك . ولكنني الآن أعض بنان الندم ... ساءلت نفسى : أيمكن أن يضيع دم أبى هدراً ..؟ صار الأخذ بالثار محور حياتى وهدفى المقدس ، ولكن كيف أنتقم ؟ فمدت لا أطيق المقام فى جو يعيش فيه وتنجهام ووالدتي ، فاتخذت مسكناً خاصاً واكتفيت بزيارتهما فلا أزورهما إلا لماما

وفى أحد الأيام ناولنى الخادم برقية ممهورة باسم خادمنا الأمينة جوليا وهى التى تعهدتنى طفلا وسهرت على فتى ويافعاً . قد آثرت أن تعيش بعد وفاة أبي فى كنف عمتى فى الريف . وكانت فحوى هذه الرسالة أن عمتى مريضة جداً . فسافرت تواً إلى قرية كنيلورث ، وكانت جوليا أول من لقيني ، وكانت عمتى نائمة على فراشها ، فلما استيقظت رأتني وكان المرض قد أعجزها عن الكلام . فأشارت بيدها الكليلة إلى صوان إشارة فهمت منها أنها تريد أن أحضر منه صندوقاً فأحضرته وتناولته بيديها المرتجفتين وأخرجت منه حزمة من الرسائل واتجه بصرها نحو المدفأ . ثم اعتدلت فى فراشها بجهد شديد وألقت بحزمة الرسائل لتكون طعمة للنار قبل أن يقرأها إنسان فى العالم . ولكن الرسائل لم تبلغ مدى النار ، فوعدتها أن أقوم باحراقها فاستسلمت للنوم ولم تمض ساعات حتى لفظت آخر أنفاسها

واعتقدت أن تلك الرسائل ربما تلقى شعاعاً هادياً على سر مصرع أبى فلم أنفذ وصية عمتى لأن رغبتى الملحة فى الانتقام كانت أقوى من عاطفة الوفاء لوصية المرأة النبيلة

فقال هولمز : كانت هذه الرسائل بالطبع مؤرخة فى نفس العام الذى قتل فيه أبوك ، وكان اسم وتنجهام يتردد فيها بكثرة ، وكان والدك يصف حالته النفسية إزاء ذلك الرجل ، وإنه يحس بأنه يحب والدتك حباً قوياً ويخفيه بمكره ودهائه ، وإن أمك بادلته الحب فترك والدك مزاحمه على قلب زوجته يغشى القصر وهو يتعذب بعذاب الغيرة القاتلة !

فنهض إسحق أزموند من مقعده وضم مستر هولمز إلى صدره ضما عنيفاً وقال له : أيها الرجل إنك تعرف أكثر مما أعرف فقل لى بربك من قاتل أبى ؟

فابتسم هولمز وقال له : هدئ روعك أيها السيد النبيل . إن الأمر ظاهر كالشمس فلم يكن رجل أفاد من مقتل أبيك سوى سير وتنجهام الذى صار زوجاً لأمك ، ولكن يعوزك الدليل الحاسم

فقال أزموند : ولكن لم يخف هذا الأمر الواضح على هؤلاء البلهاء الرسميين فى سكوتلاند يارد ؟ إلا أن شيئاً هاماً طرأ على الموقف وهو مرض وتينجهام

فى الأيام الأخيرة بنوبات قلبية

وبينما كنت أمس فى زيارة أمى وكان زوجها مريضاً قالت لى والدتى وهى تصحبنى إلى باب القصر إن النوبات التى تصيبه تزداد يوما فيوما وأن سببها أخ شقيق له مغامر فاسد الأخلاق فر من الجندية ثم ادعى أنه انتحر ؛ وساعده على هذه الدعوى سير ويتنجهام نفسه ليزيل عن أسرته هذه الوصمة . واستطاع هذا الرجل الشرير الذى بدد ثروته فى الحانات وبين النوانى أن يسافر إلى أمريكا باسم مستعار ولكنه عاد أخيراً إلى هذه البلاد معدماً وأخذ يتهدد أخاه ويصحب تهديده بطلب المال وإلا قدم نفسه للحكومة مثبتاً أنه لا يزال على قيد الحياة وأن الذى أعانه على الفرار هو شقيقه

فقال هولمز — من الواضح أن هذا الشقيق العابث المستهتر المتردى فى حمأة الرذيلة الذى يتهدد سير ويتنجهام حتى أصبح مصدر رعبه ليس إلا الرجل الذى تسمى باسم روتشديل وأنه قاتل أبيك بنفسه، وأن زوج أمك قد استغل انحطاطه وتدهوره فى تنفيذ جريمة القتل فلم يكن سوى الآلة التى نفذت الجريمة . فبهت اسحق ازموند وقال إذن ... فقاطعه شرلوك هولمز قائلا : هل لديك صورة للمرحوم والدك ؟ فبادر اسحق إلى إخراج غلاف من جيبه كانت فيه صورة أبيه فنظر هولمز إليها ثم إلى وجه محدثنا . وأشار إلى إشارة فهمت منها أنه يتأهب للخروج فى صحبة ازموند

فقلت لازموند : لقد طالت المهزلة . إن محدثك هو مستر هولمز نفسه أما أنا فصديقه دكتور وطسن وهو يريد أن يصحبك فضحك هولمز وقال :

— أردت أن تأخذ قسطك من الحرية فى مخاطبتى . وعليك الآن أن تعود إلىّ بعد ساعة مرتديا بثياب تماثل الثياب التى كان بها والدك يوم مقتله

فقال اسحق — لقد أخذت له هذه الصورة يوم مصرعه ولم نحصل عليها من المصور إلا بعد وفاته بشهر وقد علم باسمه من الصحف

فقال هولمز — لقد قدم لك قبل موته وسيلة لاتمام انتقامك، وسوف ترى. وخرج اسحق مهرولاً

وبدأ هولمز عمله فاتصل بالتليفون بالشرطة العامة والخاصة وبنصف فنادق لندن ، إلى أن اهتدى إلى مقر الرجل ؛ وكان الاسم الذي اختاره جون برود كاست وقد أفضت به لادي ويتنجهام نفسها لولدها وهى لا تدرى عاقبة الأمور

فقلت لهولمز — وماذا تريد الآن ؟

قال — أهاجم القاتل فى مكمنه. ولما كان الشبه بين اسحق ازموند ووالده شديداً فان ظهور النجل أمام القاتل فجأة سيلقى الرعب فى نفسه . ثم نناديه بالاسم الذي عرف به إذ ذاك وهو روتشديل . وعندئذ لا يجد مفراً من الاعتراف بسبب هذه المفاجأة

وفى تمام الساعة الثالثة بعد الظهر دخل علينا اسحق وهو فى صورة والده المتوفى منذ خمس عشرة سنة فدهشت، ولكن هولمز هز رأسه قائلا : إن قوانين الوراثة لاتخون ولاتكذب . وقال لاسحق : سأذهب معك فى هيأة تابع لك أحل حقيبتك . وانحدرنا إلى الشارع وركبنا « هانسوم كاب[1] »

وفى طريقنا سأل اسحق :

— هل نقبض عليه اليوم ونسلمه إلى الشرطة ؟

فأجاب هولمز — أبداً. إن تغلبنا عليه سيوصلنا بسهولة إلى شقيقه سير وتنجهام إذ أنه قبيل قتل والدك كان فاراً من الجندية ومقيما بأمريكا وكان فى نظر العالم قد انتحر . فلا بد أن زوج أمك أرسل إليه بعض رسائل خاصة بتدبير الجريمة ليستقدمه إلى انجلترا وهذه الرسائل ذات قيمة عظيمة ، لأنها الحجة الوحيدة التى بيد قاتل أبيك الآن وهي التى يتهدد شقيقه بها لابتزاز ماله . فرغبتى الآن منحصرة

(١) نوع من مركبات الأجرة يكون سائقها خلف الراكب

فى الحصول على تلك الرسائل من شقيق زوج والدتك بأى ثمن . أما القبض عليه فقد انتهيت هذا الصباح من الانصراف عنه لأنه لا يتفق وخطتى ، إذ سيضطر المحققين إلى سؤال والدتك وهي فى اعتقادى بريئة من تدبير الجريمة . فتناول اسحق يد هولز وهم بتقبيلها وبكى . فقال له هولز : إننى أفهم عواطفك فأخرج الشاب من جيبه محفظة نقوده وقال له : هذه لك خذها . فرد هولز يده بلطف وقال : آسف ياسيدى إننى لا أتناول أجراً على عملى

وصلنا إلى الفندق وبقيت فى الممر الموصل إلى الغرفة التى بها الرجل الذى نعتقد أنه القاتل واتجهنا صوبها ، ولم يكن لحسن الحظ بالبهو أحد . وفتح اسحق الغرفة فجأة وكان بها رجل موليا ظهره للباب ، فلما فتح اتجه نحوه فصاح به اسحق ازموند : روتشديل

فمراه اصفرار مهول وتساقط العرق من جبينه وصاح صيحة مكتومة : ـ ازموند !

وقبل أن يأتى بأية حركة صوب هولز نحوه مسدساً وتهدده بالقتل إذا تحرك . فلم يستطع الانكار طويلاً وقد ظن أولاً أن أخاه قد وشى به ليتخلص منه وقال : ماذا تريد منى ؟

فأجابه هولز : إنى أريد الرسائل وسأعطيك بها ثمناً ضخماً لتهرب . أعطنى الرسائل فقط . فانتهز الرجل فرصة سانحة وقلب المنضدة وانقض على هولز فاشتبكا فى صراع عنيف فانتصر عليه هولز وقد أعجبت بثبات إسحق أزموند وفقاً لأوامر هولز ونواهيه ، فسلم الرجل الرسائل وأعطاه إسحق خمسمائة جنيه وسمح له هولز بالخروج على أن يغادر شواطىء انجلترا فى نفس اليوم وبعد أن خرج سأل إسحق مستر هولز كيف نسمح له أن يفر ؟

فقال هولز : إن شقيقه زوج أمك هو المقصود بالذات . وبيننا وبينه سيكون الموقف الفاصل .

وعدنا إلى ٤٠ بيكر ستريت فبدلنا ثيابنا وقصدنا تواً إلى مقر سير ويتنجهام فى قصر أزموند بسرث سكس . وكان سير ويتنجهام قد أبل من مرضه ، وزوجته خرجت لزيارة بعض صديقاتها فقصدنا تواً إلى غرفة المكتبة كما أخبرنا الخادم . فلما رأى الرجل ابن زوجته مد يده للمصافحة . فأبى أن يبادله التحية فدهش ولكنه لم يقل شيئاً وقال له إسحق أزموند : دعنا الآن من النفاق فقد مللته

فقال الرجل ماذا تعنى ؟ ومن هذان السيدان ؟

وبعد إطلاعه على الرسائل التى كتبها بخطه إلى أخيه استسلم إلى الاعتراف . فأعطاه إسحق مهلة يوم لينتحر انقاذاً لشرف المرأة التى ظلت بضع سنين زوجاً لقاتل زوجها الأول . فأبى ذلك وطلب بضعة أشهر متعللا بمرضه ودنو أجله

وقبل أن يتمكن هولز من أن يحول بينهما اندفع اسحق ازموند بجنون وتناول خنجراً كان كان معلقاً فوق رأس الجانى وأغمده إلى مقبضه فى فى قلب غريمه وهو لا يعى شيئاً مما يفعل .

فصرخ سير ويتنجهام صرخة مكتومة قوية أشبه بالزئير وكأنما حاول استخراج الخنجر من موضعه

فقال هولز : إنه متشبث بالحياة لأجل المرأة التى أحبها وأجرم فى سبيلها ، وبسرعة غريبة اتجه المطعون نحو مكتبه وكتب بضع كلمات على ورقة ثم سقط على الأرض ميتاً واتجهت أعيننا إلى المكتب وتناول هولز الورقة وكان قد كتب عليها

« سامحينى يازوجتى الكريمة فانى قد انتحرت تخلصاً من آلامى وأمضى باسمه

فقال هولز : لقد أراد أن يخلصك من جرم مصرعه بأن يثبت انتحاره ، لا حباً بك ولكن ليلزمك الصمت فلا تعلم والدتك عن جرمه شيئاً

وخرجنا دون أن يلحظ أحد شيئاً وكانت اللادى ما زالت خارج القصر

محمد لطفى جمعه